

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ مَظَاہِرِ شَخْصِيَّةِ الْمُؤْمِنِ

الحمد لله الذي كتب العزة لعباده المؤمنين، وأمر بالعزم أولياء المتقين، القائل في كتابه المبين: «فإذا عزتم فتوكل على الله إن الله يحب المؤمنين»^(١)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنكر على المنافقين التقلُّب في مواقفهم، والمداهنة في تصرفاتهم، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، حتى أمةه على الاستقلال في المواقف، ونهاهم عن التقليل الأعمى مهما عظمت المخالفات، وعلى الله وصاحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فأوصيكم ونفسي بعبد الله بن قوئي الله، والحرص على ما يقربكم من عفوه ورضاه، وأعلموا رحمة الله - أن قوة الشخصية تتجسد في مواقف الحياة المختلفة، وهو عنوان النفس الواقية الآبية، فلا تهتز عند الخطوب، ولا تيأس عند الأزمات والكروب، وذلك دليل الإيمان، وبقاء معدن الإنسان، قال تعالى: «الذين قال لهم أنتم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل»^(٢)، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))، إنه القوي في آرائه، الحكيم في تعامله مع أسرته وزملائه، هذه هي شخصية المؤمنين، التي صاغها لهم إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ حين قال: ((لا تكونوا إمعنة؛ تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسان الناس أن تحسنوها، وإن أساءوا فلا تظلموا)), إن من مظاهر ضعف شخصية الإنسان أن يتبع كل ناعق، ويستجيب لكل ناطق، مذلاً على أنه من نفسه غير واثق، يجري وراء كل جديد، من غير تمييز بين المذكر والمسدود، ولذا حرص الإسلام على ترسيخ قيم الاستقلال في

(١) سورة آل عمران / ١٥٩ .

(٢) سورة آل عمران / ١٧٣ .

السُّلُوكِ وَالْفِكْرِ، إِمْعَانًا فِي إِعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ، بِأَنَّ اسْتِقْلَالَ لِيَتَّهُمْ مَبْدًا مِنْ مَبَادِئِ الدِّينِ، كَيْفَ لَا؟ وَالْتَّذَبَّذُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، ﴿مُذَبَّذُينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَوْلَاءِ وَلَا إِلَى هَوْلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾^(١).

أَيُّهَا النَّاسُ:

إِنَّ الْمُسْلِمَ أَصْبَلُ فِي رَأْيِهِ، حَازِمٌ فِي مَوَاقِفِهِ، وَهَذَا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذُوا مَا أَتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعْلَكُمْ تَنَقَّوْنَ﴾^(٢)، وَالشَّخْصِيَّةُ الْأَصْبَلَةُ تُؤْمِنُ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُقَاسُ بِالْقِلَّةِ وَالكُثْرَةِ، وَلَا بِالْإِرْجَافِ وَالشُّهْرَةِ، وَإِنَّمَا يُقَاسُ بِمَوَازِينِهِ، وَيُوزَنُ بِمَبَادِئِهِ وَقَوَاعِينِهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، فَيَا مَنْ تَسْعَى لِلإِرْشَادِ وَالبِنَاءِ: لَا تَهُولَنَّكَ كُثْرَةُ السُّفَهَاءِ، وَلَكَ مَثَلٌ فِيمَنْ سَبَقَكَ مِنَ الْأَتْقِيَاءِ، فَانْظُرْ إِلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ حِينَ قَالَتْ: ﴿رَبِّ أَبْنِي لَيْ عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِنَّى مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِنَّى مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤)، أَتْرَاهَا ثَبَّتَ عَلَى الْحَقِّ بِقُوَّتِهَا؟ أَمْ عَضَّتْ بِالنَّوَاجِذِ عَلَيْهِ لِكُثْرَةِ رَهْطِهَا؟ كَلَّا، بَلْ بِالْأَصَالَةِ فِي الْأَرَاءِ وَالْمَوَاقِفِ، دُونَ التِّفَّاتِ إِلَى مَا حَوْلَهَا مِنَ الْمَخَاوِفِ، وَانْظُرْ إِلَى شُعْبَيْنِ خَطِيبِ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وَهُوَ يُخَاطِبُ جُمُوعَ السُّفَهَاءِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِلَاصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(٥).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ لِقُوَّةَ الشَّخْصِيَّةِ فَوَائِدَ لِلْفَرْدِ وَالْمُجَمَّعِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، فَالْمُؤْمِنُ يَمْضِي فِي الْحَيَاةِ رَاسِخًّا الْقَدَمِ ثَابِتَ الْخَطْوَةِ، تَتَسَمَّ أَقْوَالُهُ وَأَفْعَالُهُ بِالْإِجَادَةِ وَالْقُوَّةِ؛ يَمْضِي عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ،

(١) سورة النساء / ١٤٣ .

(٢) سورة الأعراف / ١٧١ .

(٣) سورة يوسف / ١٠٣ .

(٤) سورة التحرير / ١١ .

(٥) سورة هود / ٨٨ .

مُهْتَدِيًّا بِهِ فِي دَرْبِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِينَا لَنَهَدِيَّهُمْ سُبُّلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُطْمِئِنٌ لَا يُقْلِقُ، وَلَا يَنْزَعُ حَتَّى إِنْ هَدْفُهُ لَمْ يَتَحَقَّ؛ لَأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِقِوَلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَمْسَكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتَلَكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ أَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَخَذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، وَأَمَّا ضَعِيفُ الشَّخْصِيَّةِ فَإِنَّهُ يَعِيشُ قَلْقًا مُضْطَرِّبًا، مُتَرَدِّدًا مُتَذَبِّدًا، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ أَطْمَانَهُ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتنَةٌ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٣)، إِنَّ الْمُجَتَمِعَ الَّذِي يَجْمَعُ عَلَى أَرْضِهِ أَنْاسًا أَقْوِيَاءَ فِي شَخْصِيَّاتِهِمْ، مُجَتَمِعٌ هَنِيءٌ سَعِيدٌ، لَمْ لَا؟ وَكُلُّ فَرْدٍ فِيهِ مُشْتَغَلٌ بِوَاجِبَاتِهِ، مُنَافِسٌ بِشَرَفٍ فِي إِنجَازَاتِهِ، يَصْنُقُ عَلَيْهِمْ قَوْلُ الْحَقِّ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَبُّهُمْ رَكَعاً سُجَّداً يَتَعَفَّعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرِعٌ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَأَزَرَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعِجبُ الزَّرَاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ أَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٤).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَابْتَدِعُوا عَمَّا يُضْعِفُ شَخْصِيَّاتِكُمْ؛ تَسْعَدُوا فِي حَيَاتِكُمْ وَتَهْنَأُوا بِالْجَنَّةِ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِالْإِصْلَاحِ وَنَهَى عَنِ الْإِقْسَادِ، وَحَثَّ عَلَى رِعَايَةِ مَصَالِحِ الْعِبَادِ،

(١) سورة العنكبوت / ٦٩ .

(٢) سورة آل عمران / ١٤٠ .

(٣) سورة الحج / ١١ .

(٤) سورة الفتح / ٢٩ .

وَرَغْبَةً فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ، وَأَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، أَمْرَ بِشُكْرِ الْمُحْسِنِينَ، وَالْتَّعَوْنُ عَلَى مَا فِيهِ خَيْرُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى أَهْلِهِ وَصَاحْبِهِ وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

لَقَدْ أَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُصْلِحِينَ وَوَعَدَهُمْ خَيْرًا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)، وَمَا النَّهْضَةُ إِلَّا إِصْلَاحٌ، يَتَوَجَّهُ الْقَصْدُ فِيهِ إِلَى الْإِنْسَانِ، وَبِنَاءُ مُقْدَرَاتِ الْأُوْطَانِ، وَتَهْيَةُ الْمُسْتَقْبَلِ لِلأَجْيَالِ الْقَادِمَةِ عَلَى خُطُطٍ مُحْكَمَةٍ، وَمَرَادِيَ سَدِيدَةٍ، تَحْفَظُ الْبِنَاءَ قَوِيًّا مُتَمَاسِكًا، وَيَظْلَمُ نَبْتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا، وَفِي هَذَا الْمَجَالِ تَتَسَابَقُ الْهَمَمُ، وَتَتَنَافَسُ الْعَزَائِمُ. هَذَا وَإِنَّ الْتَّعَوْنَ عَلَى الْخَيْرِ مِنْ هَذِي الْمُؤْمِنِينَ، وَصِفَاتِهِمُ الَّتِي يَبَيِّنُهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالثَّقَوْفَةِ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِلَاثِ وَالْعُدُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢)، فَوَجَبَ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْوَطَنِ الْإِسْهَامُ فِي عِمَارَتِهِ وَالْمُشَارِكَةُ فِي نَهْضَتِهِ، فَإِنَّ النَّهْضَةَ بِالْبِلَادِ مَسْؤُلِيَّةُ جَمَاعِيَّةٍ، وَمُهِمَّةُ تَعَاوُنِيَّةٍ، يَشْتَرِكُ فِيهَا الْكِبَارُ وَالصِّغَارُ، وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، كُلُّ حَسَبٍ طَاقَتِهِ وَمَقْدِرَتِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فِي أَنْفُسِكُمْ وَأَوْطَانِكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمَتِهِ وَمَا أَوْلَاكُمْ، وَاعْمَلُوا عَلَى إِسْعَادِ النَّاسِ وَمَنْفَعَتِهِمْ؛ وَتَعَهَّدُوا مَكَاسِبَ وَطَنِكُمْ بِالرِّعَايَةِ وَالْاِهْتِمَامِ، وَحَقُّقُوا حُكْمُ لَهُ بِعَمَلِ الْخَيْرِ عَلَى الدَّوَامِ.

هَذَا وَصَلَوُا وَسَلَمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلَيْمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلِّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَمِّلُهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا صَلَوْا عَلَيْهِ وَسَلَمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣).

(١) سورة الأنعام / ٤٨ .

(٢) سورة المائدة / ٢ .

(٣) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسُلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسُلِّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَأَرْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلْفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنِّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعَصُومًا، وَلَا تَدَعْ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعْزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوقُهُمْ، وَاجْعُمْ كَلْمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاکْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاکْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعْزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيْدِهِ بُنُورِ حَكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ أَلَا تَكُلَّنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنَ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزَرْوُعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».